

خليفة قايد صالح الذي يرث منظومة صلبة

الجنرال السعيد شنقريحة

هل سينجح في نزع قفازات السياسة من أيدي العسكر؟



القائد الجديد للمؤسسة العسكرية يكسر قاعدة النظرة المسبقة التي توجه إلى القادة الكبار، فهو قارئ جيد للأدب والمذكرات والسير والتاريخ، بل إنه طلب من مساعديه توفير كل ما كتب عن الحراك الجزائري باللغتين العربية والفرنسية.

شنقريحة يتولى قيادة الجيش بعد وفاة الفريق قايد صالح الرجل الذي خلق الجدل والفوضى وبث الخوف في من هم حوله، وحتى في من هم بعيدون عنه، وسيطر طيلة شهور من بداية الحراك على المشهد صورة وصوتا.

الوظائف والمناصب، أو أي مسؤولية مهما كان حجمها، هي معيار تقديس العمل باعتباره سر النجاح، فضلا عن الكفاءة والمقدرة والجدية والنزاهة، والإخلاص للجيش وللوطن. قد تكون الخلافات متجذرة بقوة بحكم هشاشة النظام السياسي الجزائري الذي لم يخرج بعد من عباءة العسكر، ولا يمكن الانتخبات رئاسية حرة ونزيهة وشفافة وتأمين العملية الانتخابية وضمان جو الهدوء والطمأنينة. وأنه لن يتخلى "عن التزاماته الدستورية مهما كانت الظروف والأحوال، وسنظل بالمرصاد في مواجهة أعداء الوطن، وكل من يحاول المساس بسيادتنا الوطنية".

الاستمرارية، وصرح أن الجيش سيرافق "مؤسسات الدولة وتمكينها من أداء العمل باعتباره سر النجاح، فضلا عن الكفاءة والمقدرة والجدية والنزاهة، والإخلاص للجيش وللوطن. قد تكون الخلافات متجذرة بقوة بحكم هشاشة النظام السياسي الجزائري الذي لم يخرج بعد من عباءة العسكر، ولا يمكن الانتخبات رئاسية حرة ونزيهة وشفافة وتأمين العملية الانتخابية وضمان جو الهدوء والطمأنينة. وأنه لن يتخلى "عن التزاماته الدستورية مهما كانت الظروف والأحوال، وسنظل بالمرصاد في مواجهة أعداء الوطن، وكل من يحاول المساس بسيادتنا الوطنية".

قال هذا الكلام بهدوء ونقل، فالرجل كسر قاعدة النظرة المسبقة التي توجّه إلى القادة الكبار للعسكر، وما رشح عن سيرة الرجل في هذا المجال أنه قارئ عميق لأدب المذكرات والسير والتاريخ، بل إنه طلب من مساعديه توفير كل ما كتب عن الحراك باللغتين العربية والفرنسية، وهو محب نهم لأشعار محمود درويش. ربما من هنا جاءت ثورته ونضاله وكفاحه ضمن صفوف الجيش الوطني الشعبي المقاوم للاحتلال الفرنسي، وفي صفوف القوات البرية في حرب الاستنزاف المصرية، ثم في حرب أكتوبر عام 1973.

ومع ذلك بقي بعيدا عن الأضواء يكاد لا يظهر بقامته القصيرة مع قادة العسكر إلا في اجتماعات عامة يسمح بتصوير لقطات منها أو في حفلات التخرج العسكرية السنوية، أو أثناء دورات التقنيات التي كان يقوم بها الراحل قايد صالح إلى القوات البرية التي كان يرأسها.

مهام معقدة

جاء الخطاب الأول لشنقريحة قائدا بالنيابة لأركان الجيش الشعبي الوطني وتلاه خطاب ثان أكثر وضوحا وحرما كفضل من فضول تنبؤ أصحاب الشأن السياسي لأخطاء قد تكلف الكثير، وكانت بمثابة رسالة تتضمن ضرورة "العودة إلى النظام"، خاصة وأن التعيينات التي قام بها الرئيس تبون على مستوى الرئاسة لم ترق للجميع من حيث التوقيت والسرعة في اختيار الأشخاص الذين أكل عليهم الدهر وشرب، وقالت بعض المصادر الخاصة إنه لم يستشر أحدا حتى العسكر عندما عين الوزير الأول عبدالعزيز جراد، وقد خلق هذا رد فعل قوي من طرفهم، وانعكس ذلك فيما قاله شنقريحة من أن "معايير تولي

التعيينات التي يقوم بها الرئيس تبون على مستوى الرئاسة، حسب التسريبات، لا تروق للجميع من حيث التوقيت والسرعة في اختيار الأشخاص، فقد أكدت بعض المصادر الخاصة أنه لم يستشر العسكر عندما عين الوزير الأول عبدالعزيز جراد، وقد خلق ذلك رد فعل قوي من طرفهم



ذات طابع عسكري تنسب إلى جنرال "إكس". كتب مضادة للمؤسسة تكتب للجنرال البارز، وما زالت حتى الآن تصدر مثل هذه البيانات عن عمليات أخرى كالتهريب أو القبض على بارونات مخدرات أو اكتشاف كازمات وأسلحة وذخائر وغيرها من العمليات التي تقوم بها كافة أنحاء البلاد. ورغم أن تلك المؤسسة تمتلك مديرية للاتصال ومجلة خاصة تصدر شهريا، إلا أنها لا تنسفي الغليل ولا تروي فلما الفضول والمعرفة، ويتم عرض المجلة في بعض وسائل الإعلام لتقرأ خاصة افتتاحيتها المعبرة عن فلسفة الجيش أو الرأي فيما يحدث على الساحة السياسية، إلا أن ما يعاب على هذه المجلة حسب المنتهين شكلها ولغتها التقليدية والأسلوب الذي تكتب به المقالات الذي لا يخرج عن البساطة وفي مرات كثيرة عن الاستسهال في طرح القضايا الكبرى. وقد برزت الإفتتاحية خاصة في الفترة الأخيرة منذ بداية الحراك، وكانت بمثابة الدوصلة التي تشرح وتؤوّل بوضوح ما خفي من خطاب الراحل قايد صالح، ولكي توابك المؤسسة الأحداث المتسارعة دخل في الخدمة تطبيق إلكتروني يتيح لمخضفه الإطلاع الفوري على كل ما يتعلق بوزارة الدفاع الوطني من بيانات صحافية، إعلانات التجنيد والخدمة الوطنية، وكذا مواعيد ومعلومات عامة أخرى.

شنقريحة يتقدم

هكذا اعتاد الجزائريون على أن يكون عدد الخرجات الصوتية لقادة العسكر قليلا جدا. في الذكرى هناك ظهور للفريق الراحل محمد العماري سنة 2003، وصف بالتاريخي وغير المسبوق حين رد على اتهامات طالت الجيش من لدن الكل خارجيا وداخليا. تكلم العماري بالفرنسية أمام عدسات الكاميرات والصحافيين محاطا بالقيادات العليا للجيش عن الدور الكبير الذي لعبته المؤسسة في هزيمة الإرهاب ودرح فلوله، وكان ذلك الظهور مفاجأة على غير العادة. فإن يطل العسكر من هذه النافذة الكبيرة ومن المستوى العالي جدا والضيق حيث لا يعرف أحد ماذا يدور في عقولهم وفي محيطهم، وعادة تحتفظ مخيلة الناس البسطاء بالصور التي تبثها القنوات لهم.. بزة عسكرية بنية اللون ونياشين ونظارات سميكة وحماة أشداء يحرسونهم يقفون لكل نهمة أو حركة غير عادية.

كانت تلك الخرجة بمثابة ضربة معلم فالأحداث جليبة وخطيرة، أوصلت الأمور إلى حد لا يطاق من المشاكل والصعوبات والمنازق والالتزامات تنذر بالانفجار والنار والغليان في أوساط السلطة وفي ثنانيا المجتمع. تغذت تلك المخيلة عن العسكر بما أراده لها هؤلاء، وبقيت صور أخرى تتوارد بالقطرة وحسب الظرف. لقاءات صحافية تنشر في صحف وطنية وعالمية

أبوبكر زمال
كاتب جزائري

استلم الجنرال ماجور الصارم السعيد شنقريحة خبير الدبابات والمولود بتاريخ 1945، في مدينة القنطرة بولاية بسكرة، جنوب شرقي الجزائر، قيادة أركان الجيش الشعبي بالنيابة بعد وفاة الفريق قايد صالح الرجل الموصوف بالقوة وبأنه كان الرجل النافذ حامي الشعب وقبيل الأمة الجزائرية وإسدائها. رجل خلق الجدل والفوضى وبث الخوف في من هم حوله، وحتى في من هم بعيدون عنه، سيطر طيلة شهور من بداية الحراك على المشهد صورة وصوتا، وكانت التحليلات والقرارات والمواقف تبث حسب كل خطوة يخطوها الراحل على الأرض، حتى وهو يطير في السماء من كثرة إلى كثرة ومن مقر عسكري إلى آخر.

نبذة مفاجئة

فاجأ شنقريحة الجميع أيا ما بعد وفاة قايد صالح وفي نفس اليوم المحب لهذا الأخير، أي الثلاثاء، في لقاء عسكري رفيع المستوى بثت بعض تفاصيله التلفزيون الرسمي، بإلقاء خطبة، ولم يكن ما قاله فقط هو المهم بل التمكن العالي من الإلقاء بلسان عربي فصيح، نادرا ما تعود عليه الجزائريون من لدن سياسي بل من عسكري من طراز رفيع. فاللغة التي درج على استعمالها مسؤولو الدولة في الجزائر هي الفرنسية وبالق الأضرار العربية التي عادة ما تصبح موضوع تهكم وسخرية وتنكيت في الأوساط نظرا للأخطاء والسقطات الكثيرة والزلات الطريفة التي تراقف الخطب.

خطاب شنقريحة يبدو أكثر وضوحا وحرما، كفضل من فصول تنبيه أصحاب الشأن السياسي لأخطاء قد تكلف الكثير، خطاب بمثابة رسالة تتضمن ضرورة «العودة إلى النظام»

لم يعرف للمؤسسة العسكرية الجزائرية طوال عقود ناطق رسمي باسمها مثل باقي دول العالم. ولم تنطق هذه الأخيرة إلا في مناسبات قليلة أملتھا الظروف والنوائب، دفعت بقادتها للخروج من سياسة الصمت والتخفي، وكانت توصف بالصامت الأكبر والناطق السري بما يجول في أروقة الحكم. ونادرا ما كانت تلتقط تصريحات علنية لمنتسبيها، فحتى أثناء سنوات الإرهاب والدم لم تخرج المؤسسة عن هذا التقليد،